الاستشارة النفسية
و
الاستشارة الروحية

بقلم

الأب د. بيشوى راغب
دكتوراة في علم النفس



طبعة أولى

الاستشارة النفسية والاستشارة الروحية
صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨- القاهرة

١٠/ ٧٦٧ ط١/١-١/ ٩٨
رقم الإيداع بدار الكتاب: ١٣٦٣٠/٩٨
ISBN 977 - 213 - 448 - 9
طبع بمطبعة سيوبرس

المحتويات

مقدمة الدار

عندما يلتجىء شخص ما إلى آخر طالباً مشورته فهنا تنشأ علاقة المساعدة وهى علاقة تتطلب توافر شروط فى من يقدمها، ومن يطلبها حتى تحدث الأثر المطلوب منها، كما أن مفهوم المساعدة نفسه يجب أن يكون واضحاً فى ذهن من يطلب المساعدة ومن يقدمها، وهناك جانب نفسى وجانب روحى للمساعدة حيث أنها علاقة تقوم بين البشر وهناك نظريات عديدة فى مجال علم المشورة تتناول بالثمن والشرح كل ما تختص بهذا العلم، ونظراً لتعقد وتشابك العلاقات الإنسانية كنتيجة طبيعة لتعقد وتشابك النفس الإنسانية ذاتها- فإن تقديم المساعدة أو ممارسة المشورة لا يجب أن يتم إلا بعد الاطلاع على أساسيات علم المشورة.

وهذا الكتاب يقدم لكل من المرشد والمربى الخطوط الرئيسية لكيفية الاستفادة بعلم النفس داخل الإرشاد الروحى.

دار الثقافة

مقدمة

من منا لا يحتاج إلى مساعدة الآخر؟

بدأنا بهذا التساؤل لكى نصحبك عزيزى القارىء خلال فصول هذا الكتاب فى رحلة إلى عالم "علاقة المساعدة". إنه موضوع فى غاية الأهمية لكل مرشد ولكل مربٍ يحمل على عاتقه مسئولية تقديم المساعدة لمن يلجأ إليه. ويرجع أصل هذا التعبير الجديد "علاقة المساعدة" إلى الكلمة الإنجليزية (Counseling) التى تعنى "استشارة" أو "مشورة". وهذه العلاقة تنشأ عندما يلتجىء شخص ما إلى آخر طالباً مساعدته- وداخل هذه العلاقة يبرز أيضاً موضوع التوجيه والإرشاد- وسوف نتناول بالتفصيل فى دراستنا هذه مفهوم ومعنى علاقة المساعدة، ومن يقوم بها والصفات والإمكانيات والقدرات الخاصة التى يجب أن تتوفر فى هذا الشخص (المساعد) إلى جانب الدراسة والخبرة لكى يكون مؤهلاً لمساعدة الآخرين

كذلك سنتناول بالتفصيل الاحتياجات النفسية للمستشير (المساعد) وأيضاً سندرس معاً مبادىء ومنهج وفن تطبيق علاقة المساعدة النفسية بوجه عام وتطبيقها داخل المساعدة الروحية بوجه خاص.

وليس هدف دراستنا هو دراسة نفسية بحتة، ولكن هدف دراستنا الأساسى هو كيفية الاستفادة بعلم النفس داخل الإرشاد الروحى حيث أن علاقة المساعدة التى تقدم لإنسان ما، تقدم له باعتباره إنساناً متكاملاً غير منقسم إلى مكون روحى يعيد كل البعد عن المكون النفسى أو العكس، بل هما متداخلان وتأثير أحدهما على الآخر يظهر جلياً فى حياة الفرد.

الفصل الأول

التمييز والربط بين النفسى والروحى

إن التمييز والربط بين الحياة الروحية والنفسية داخل الإنسان هو أمر بالغ الحساسية والصعوبة، وبنوع خاص لكل مربٍ أو مرشد يقدم المساعدة والمشورة للآخرين، لأنه يجب عليه أن يميز بين ما هو خطيئة (مرض روحى) وبين ما هو نفسى (عقد نفسية)، وأيضاً يجب عليه أن يكتشف مدى ارتباط أحدهما بالآخر.

فعلى سبيل المثال.. إنسان مريض بمرض السرقة (كليبتومانيا) عندما يذهب للمرشد أو أب الاعتراف ليطلب مساعدته حتى لا يعاود السرقة، ففى هذه الحالة إذا بدأ الأب المرشد فى التركيز على الجانب الروحى باعتبار أن السرقة خطيئة فإنه سيبذل مجهوداً ضخماً.. ولكنى لا أظن أن هذا الجهد سيأتى بفائدة كبيرة أو أنه من خلال هذا الجانب الروحى فقط -يستطيع أن يقدم له علاجاً كافياً. عكس ذلك إذا استطاع الأب المرشد أن يربط بين هذه الحالة الروحية ومسبباتها النفسية، فإنه سيولى الجانب النفسى حقه من الاهتمام وذلك عن طريق الحوار مع هذا الشخص (داخل علاقة المساعدة)، راجعاً معه إلى ماضى حياته باحثاً عن سبب تكوين هذا المرض النفسى، ومتى كانت بدايته، والمحاولات المختلفة التى بذلها هذا الإنسان لكى يتغلب على هذا الدافع القوى للسرقة، ولماذا فشلت محاولاته السابقة. وبعد ذلك يقوم المرشد بمساعدته عن طريق تقديم مفاتيح جديدة يختار منها الشخص نفسه المفتاح المناسب لحل مشكلته -وهذا أفضل بكثير- أو أن يبحث هذا الشخص بنفسه عن مفتاح جديد يبتكره هو بنفسه، ويرى أنه قادر على استخدامه الاستخدام الأمثل لعلاج مشكلته.

هناك مثال أخر نؤكد به على أهمية التمييز أو الربط بين ما هو نفسى وما هو روحى، وذلك بهدف تقديم مساعدة أكثر فاعلية عندما يستخدم العلاج المناسب للمرض... حدث أن شاباً راشداً ذهب إلى الكاهن ليسترشد أو يعترف شاكياً بأن خطيئة الكذب تسيطر عليه تماماً، فهو يكذب كثيراً ويكذب دائماً.. يكذب لأتفه الأسباب. ويكذب بدون سبب وهو يريد أن يتخلص من هذا الداء، ومن أجل ذلك فهو يصلى ويصوم ويواظب على حضور قداس الأحد. وفى كل مرة يعترف بخطاياه يجد أن فى مقدمتها خطيئة الكذب.. وفى كل مرة يعترف فيها يتلقى نصيحة الكاهن بأن يبتعد عن الكذب وأن يكون كلامه فقط نعم نعم لا لا.. إلخ.. ولكن للأسف وبالرغم من كل هذا فهو مازال يكذب...!

ويتساءل الأب المرشد قائلاً: عجيب أمر هذا الشاب، إنه إنسان طيب وعلى خلق، وأكثر من ذلك فهو خادم فى أحد أنشطة الكنيسة، ولكننى لا أعرف لماذا تسيطر عليه هذه الخطيئة؟... ولماذا هو عاجز عن الخلاص منها؟؟.. أمام حالة مثل هذه يجب على المرشد قبل كل شىء أن يتحقق عن طريق لقاء المساعدة-

من أحد أمرين : هل أن الكذب فى هذه الحالة سببه (مرض روحى) ونتيجته خطيئة الكذب؟. أم أن السبب (مرض نفسى) نتيجة خوف أو شعور بالنقص أو نتيجة عقدة نفسية تكوَّنت من قبل وثمرتها هى الكذب؟؟. وهذا ما فعله مرشد آخر ذهب إليه هذا الشاب بعينه... فقد اكتشف هذا المرشد أن هذا الشاب، عندما كان فى سن السابعة من عمره وكان يكسر أو يتلف شيئاً فى البيت كان والده يسأله إذا كان فعل هذا الشيء أم لا، فكان يجيب عليه بنعم، وفى كل مرة كان يجيب بالصدق كان نصيبه الضرب المبرح عقاباً له، وفى أحد الأيام حدث وهو يلعب بمفرده فى البيت أن تعلق (بنجفة) حجرة الصالون فسقطت وتهشمت فتملكه خوف شديد جداً، وأخذ يفكر فى العقاب الصارم المنتظر من والده عندما يعود من عمله.. وأخيراً اهتدى إلى فكرة تنقذه من هذا العقاب المتوقع.. سيقول لأبيه إنها سقطت فجأة ودون أن يلمسها، وأن الذعر استولى عليه عندما سمع صوت تهشمها بينما كان موجوداً فى حجرته منهمكاً فى عمل واجبه المدرسى.. وفعلاً تم هذا.. وصدق والده القصة ولم يعاقبه بالضرب المبرح كالعادة، ففرح هو لأنه أفلت من الضرب وأيضاً لأنه وجد هذه الوسيلة السهلة (الكذب) التى جنَّبته العقاب... إنه من الآن فصاعداً سيستخدم هذه الوسيلة... وهنا تكونت العقدة..! وبمرور الزمن كان ينمو وكانت تنمو معه أيضاً هذه العقدة.. بل وأصبح يتفنن فى استخدام وسيلته السهلة هذه، حتى صارت عادة راسخة فيه تسيطر عليه بالرغم من أنه غير محتاج إلى استخدامها الآن... وبالرغم من أنه يكرهها ولا يريدها.. ومن هنا وبعد أن تحقق المساعد من أن السبب وراء هذا الكذب نفسى وليس روحى، فقد بدأ أولى خطوات العلاج النفسى مع هذا الشاب حتى يتخلص من عقدته هذه.

وهكذا يكون التمييز بين ما هو روحى وما هو نفسى. ولكن وفى نفس الوقت يجب أن نراعى عدم الفصل التام بينهما حيث أنهما متداخلان تماماً ويكوِّنان معاً البعدين الرئيسيين فى الإنسان وكلاهما مكمِّل للآخر.

وأيضاً يتأثر الواحد منها بالآخر ويرتبط به. فالإنسان عندما يرتكب خطيئة كبيرة ويشعر بندم شديد لأجل ارتكابها عندئذ ترتسم مسحة من الحزن على ملامح وجهه، إنه حزين على خطيئته (بُعد روحى).. ويمكن القول أيضاً أنها مسحة من الاكتئاب ترتسم على ملامح وجهه فهو مكتئب لشعوره بالذنب (بُعد نفسى).

وأخيراً يمكن القول إن بين النفسى والروحى هناك تمييزاً... وهناك أيضاً ارتباطاً. وأن بينهما خيطاً رفيعاً...

الفصل الثانى

علاقة المساعدة :
مفهومها - معناها - طبيعتها

مفهوم علاقة المساعدة :

يجب علينا أن نضع فى اعتبارنا أن ليس كل لقاء بين شخصين هو لقاء مساعدة... بل هى العلاقة التى تنشأ عندما يلجأ شخص ما (طالب المساعدة) إلى شخص آخر يرى فيه الشخصية الناضجة، والحكيمة، المتزنة والمختبرة القادرة على تقديم المساعدة له. ونحن نرى فى حياتنا أنواع لقاءات كثيرة بين شخصين أو أكثر، ولكن لا ينطبق عليها مفهوم لقاء المساعدة بمعناه الحقيقى، ونذكر منها على سبيل المثال:

١- المحادثة:

وفيها يتم تبادل الآراء والأفكار ووجهات النظر المختلفة. ومن خلال المحادثة تنمو وترتقى الصداقة.

٢- المناقشة:

وهى تتم عادة فى جو من المنافسة ويغلب عليها طابع من الدفاع والهجوم. وفى المناقشة يسهل جداً الانتقال من فكرة إلى أخرى دون ترابط بل حسب رغبة ومزاج كلا الطرفين. ويسهل أيضاً الانتقال من تبادل الأفكار إلى الصدام الشخصى

٣- المواجهة أو المقابلة:

ومثال لذلك هو أسئلة الصحفيين. وفيها يتم جمع الأخبار عن الفرد وعن شخصيته وطريقته فى التفكير أو درجة ثقافته أو رأيه الخاص فى موضوع ما.. إلخ، وهنا نجد أن الهدف ليس الشخص فى ذاته أو البحث عن خير ومصلحة الشخص نفسه، ولكن فقط ما يفيد القائم بالمقابلة.

٤- الاستجواب أو الاستعلام:

ومثال ذلك وقوف شخص ما أمام وكيل نيابة لاستجوابه. وفى هذا اللقاء يتعرض الفرد لحالة من الشعور بالدونية أو الشعور بالنقص. ويتم ذلك عن طريق توجيه بعض الأسئلة التى لا تهدف إلا إلى جمع المعلومات أو لتلقى إجابات معينة دون الاهتمام بمصلحة الشخص أو محاولة فهمه وفهم احتياجاته.

٥- الحوار من طرف واحد:

صحيح أن ذلك يتم فى وجود شخصين (المتحدثين معاً) ولكن فى الواقع لا يهتم أى منهما بما يقوله الآخر وإنما فقط لمجرد مواصلة الحديث بينهما، وبطريقة شخصية (حسب ما تنطوى عليه نية الشخص وما يريد الإفصاح عنه). ويتم ذلك فى أغلب الأوقات بطريقة لا شعورية.

٦- الاعتراف:

وفيه يذهب الشخص بإرادته إلى الكاهن عند شعوره بأنه خاطىء لكى يقول له كل ما يعتبر نفسه مسئولاً عنه.

معنى وطبيعة لقاء المساعدة

والآن نتساءل عن ما هو المقصود بلقاء المساعدة؟

ولكى نقدم إجابة علمية محددة على هذا التساؤل نستند إلى تعريف عالم النفس الأمريكى كارل روجرز صاحب نظرية "العلاج المتمركز حول العميل" (Client-centered-Therapy) وهو نوع من العلاج غير المباشر. ونستند أيضاً إلى تعريفات بعض من تلاميذه. يقول روجرز: "إن الهدف من لقاء المساعدة لا يكمن فى حل مشكلة خاصة (تواجه الفرد فى الوقت الحاضر) ولكن فى مساعدته لكى ينمو حتى يستطيع بطريقة كاملة وبنّاءة مواجهة هذه المشكلة الحاضرة أو ما سوف يقابله فيما بعد من مشاكل"(١).

فى هذا التعريف نجد أن روجرز يركز فى المقام الأول على مسيرة نمو الفرد ونضجه أكثر من التركيز فى البحث لإيجاد حل لمشكلة طارئة.

ويقول كركوف وهو من أوائل تلاميذ روجرز "أن أساعد إنساناً يعنى أن أحرك فيه عملية تغيير بنائى فى السلوك بحيث يتضح الامتداد العاطفى لحياة الفرد مما يسمح له -وبدرجة عالية- بالتحكم الذاتى (قيادة ذاته) فى الأنشطة المختلفة التى يرغب تحقيقها"(٢).

وهنا نجد أن المساعدة الحقيقة التى يحددها كركوف تقوم فى فعل التحريك الذى يحدثه المساعد فى الشخص الذى يطلب المساعدة، ومن ثم يبدأ هو بنفسه حركة تغيير بنائى فى سلوكه.

أما جونسون -وهو أيضاً من تلاميذ روجرز- فهو يعرف علاقة المساعدة هكذا: "لقاء المساعدة.. هى العلاقة التى فيها يساعد إنسان ما إنساناً آخر لكى يتعمق فى معرفة ذاته وأن يملك القدرة على أن يكيف حياته -بطريقة مسئولة- بحيث تتطابق مع قيمتهومعنى وجوده فى المجتمع"(٣).

وهنا نستنتج أن أولى الخطوات هو التعمق فى معرفة الذات، ثم بعد ذلك محاولة التكيف مع المجتمع بأسلوب ملتزم وبمصداقية حقيقية.

---

(1) ROGERS C., Counseling and Psychotherapy, Houghton Mifflin, Boston, 1942, 28.
(2) CARKHUFF R.R., The skills of helping: an introduction to counseling skills, Amherst, Human Resouce Devel., 1979, 3.
(3) JOHSON O, psychologie der pastorlen Beratung Feiburg in B., Herder, 1969, 20.

وأخيراً يعرِّف جوردانى (وهو كاهن وعالم نفس، إيطالى الجنسية، قد تتلمذ على يدى روجرز فى أمريكا) يعرِّف علاقة المساعدة بقوله: "لقاء المساعدة.. هو أن نحمل الفرد الذى يطلب المساعدة إلى معرفة ذاته معرفة واضحة"(١).

وهنا نجد أن التركيز على معرفة الذات معرفة واضحة هى التى تساعد الشخص على مواجهة المشكلات المختلفة بناءاً على معرفة إمكانياته وقدراته ونقاط القوة وأيضاً نقاط الضعف الموجودة فى شخصيته.

إجمالي هذه التعريفات :

الآن نستطيع أن نجمل هذه التعريفات المختلفة لمعنى وطبيعة علاقة المساعدة فى هذه العبارة:... "إن الغرض من لقاء المساعدة يكمن فى مساعدة الشخص لكى يساعد نفسه، عارفاً ذاته، واضعاً نفسه فى مسيرة نمو، متحملاً مسئولية تكييف حياته بحيث يتطابق سلوكه مع المبادىء والقيم التى يرغب أن يعيشها"(٢).

وهكذا بعد فهمنا لمعنى وطبيعة علاقة المساعدة يتضح لنا أن الذى يلعب الدور الرئيسى فى هذه العلاقة ليس هو شخص المساعد (الشاطر) فى حل المشاكل وإنما بطل اللقاء الحقيقى هو شخص العميل الذى تتسلط عليه كل الأضواء، فهو صاحب المشكلة وبيده مفتاح الحل وما على المساعد إلا أن يساعده لكى يساعد نفسه.

ولكن كيف يساعده...؟.. هذا ما سنراه على الصفحات التالية.

(1) GIORDANI B., La relazionc di aiuto, sceondo L'indirizzo di Carl R. Rogers, Brescia- Roma, La Scuola- Antonianum, 1978, 83.

(٢) المؤلف...

الفصل الثالث

الاستشارة النفسية وكيفية المساعدة

هناك طريقتان مختلفتان للمساعدة:

١- التدخل المباشر:

وفيه يتم اللقاء بطريقة تسلطية -أى بتدخل مسيطر من جهة المساعد الذى لديه تصور سلبى وتشاؤمى للشخص الإنسانى- فوجهة نظر المساعد هنا أن الشخص الذى يطلب المساعدة لا يملك القدرة من ذاته على أن يغير شيئاً من سلوكه أو أن يجد بنفسه الحل لمشكلته، بل عليه فقط أن يستمع إلى نصائح وتوجيهات، بل وإلى أوامر هذا المساعد.

وللأسف نجد فى علاقة المساعدة الروحية أن كثيراً من المساعدين يستخدمون هذه الطريقة المباشرة وهذا التدخل التسلطى والمسيطر، فهم بسهولة يوجهون النصائح والتحذيرات ويقدمون قائمة بالمحرمات.. وللأسف أيضاً، نجد شباباً يذهبون إلى المساعد يحكون له مشاكلهم ثم يقول الواحد منهم فى ختام كلامه معه (أرجوك قل لى رأيك أنت فى هذا الموضوع... وما هى النصائح التى تريد أن توجهها إلىَّ. وما هو خط السير الذى يجب أن أتبعه..؟).

إنها طريقة سهلة ولكن غير مجدية... وما أسهل على المرء أن ينصح غيره. ولكن يجب القول أن التدخل المباشر يصلح كثيراً مع الأشخاص غير الناضجين أو المرضى العقليين على شرط أن يتم بطريقة إنسانية.

٢- التدخل غير المباشر:

وهنا يتميز اللقاء بجو من الحرية والاحترام للملكات والكنوز الموجودة فى الإنسان الذى يطلب المساعدة ويتحقق هذا عن طريق مساعد لديه تصور إيجابى ومتفائل للطبيعة الإنسانية.

وفى مثل هذا اللقاء يكون شغل المساعد الشاغل ليس تقديم النصيحة بل كيفية استخراج الكنوز المدفونة داخل الشخص واستثمار وتطويع ملكاته المختلفة فى خدمة بناء ذاته، وبنوع خاص فى مساعدته لأن يجد هو بنفسه حلاً للمشكلة أو الصعوبة التى يمر بها

ودور المساعد هنا يتركز فى نقطتين أساسيتين: الأولى هى إيقاظ وتنبيه الشخص(العميل) الذى يطلب المساعدة إلى هذه الملكات التى لديه. والثانية هى أن ينمى فيه الثقة بذاته ويؤكد له أنه يملك القدرة على مساعدة نفسه.

إنها طريقة ليست سهلة.. إنه الطريق الصعب.. إنها مسيرة نمو.. فيها تثمر المساعدة أناساً ناضجين متوافقين مع ذواتهم ومع الآخرين.. وقادرين على مساعدة أنفسهم بأنفسهم...

ولفاعلية لقاء المساعدة يجب على المساعد أن يضع فى اعتباره ثلاث وظائف هامة أثناء اللقاء وهى:

١- وظيفة التسهيل:

وفيها يسهل المساعد للعميل الطريق لمعرفة ذاته وتفهم حالته (مشكلته) بوضوح كامل وإمداده بالمعلومات بطريقة متفائلة. ووظيفة التسهيل ليس معناها أن يقول المساعد للعميل (إن كل شيء على مايرام.. وإنها مشكلة سهلة جداً.. ولا يهمك أى شيء) بل هى تقوم فى أن يفتح المساعد قلبه ليستقبل العميل بكل حب وبطريقة هادئة ومشجعة مهما تكن حالته ومهما يكن حجم مشكلته، مشاركاً إياه فيما يشعر به أمام مشكلته دون تهوين أو تهويل.

٢- وظيفة التقييم:

وهى تقييم سلوك ما للعميل. وبمعنى آخر نقول: لماذا تصرَّف العميل هكذا؟ ويجب أن يكون التقييم حسب حجم المشكلة ليس أكثر ولا أقل. ويجب الانتباه إلى أن هذا التقييم يستند -فى كثير من الأحيان- إلى عوامل ذاتية من جهة المساعد وذلك فى تحديد مسئوليته الخاصة وفى تحديد قيمة قراراته. وهنا تكمن الخطورة إذا لم يضع المساعد نفسه مكان العميل (فى الظروف التى مرت به وفى ما يملكه من قرارات، ولماذا كان سلوكه بهذه الطريقة؟) حتى يكون تقييمه محايداً وخالياً من الإسقاطات والنزعات الشخصية، لأن واجبه الأساسى هنا أن يكون التقييم موضوعياً وليس ذاتياً.

٣- وظيفة التوجيه:

فى بعض الأحيان يتساءل الفرد عن معنى حياته ومستقبله، أو عن اختباره لمبادىء معينة، أو عن قرارات ما يجب أن يتخذها. وفى هذه الحالات يستخدم المساعد الطريقة التوجيهية.

وهنا نقول إن التوجيه يختلف عن إسداء النصائح (عمّال على بطال) من طرف المساعد بل هو إضاءة الأنوار اللآزمة التى يطلبها العميل بنفسه والتى تساعده فى رؤيته الشخصية للأمور. كما تستخدم الوظيفة التوجيهية مع بعض المراهقين والذين لم يصلوا إلى مرحلة النضج.

وخلاصة القول إن فاعلية لقاء المساعدة مرتبط بوجود شخص المساعد الواعى لدوره الذى يشارك فى مسيرة نمو العميل بطريقة مثمرة. هذا إلى جانب قدرته على الاستماع والفهم حتى يستطيع توضيح وشرح الديناميات المختلفة للسلوك الناتج عن شخص ما (من الطبيعى أن هذا يحتاج إلى دراسة وإلى كثير من الخبرات). ويعين الشخص الذى يطلب المساعدة على أن يتحمل مسئوليته بنفسه، وفى نفس الوقت ينمو تدريجياً نحو النضوج.

وأخيراً فإن طريقة المساعدة يجب أن تأخذ اتجاه التشجيع.

الفصل الرابع

الصفات والمميزات الخاصة بالمساعد

فى هذا الفصل سنرى سوياً المميزات والصفات الخاصة التى يجب أن تتوفر فى شخص المساعد.

يجب أن تتوافر فى شخص المساعد صفتان أساسيتان:

تكوين علمى وتربوى خاص، مميزات وصفات شخصية يتميز وينفرد بها.

وإلى جانب هاتين الصفتين الأساسيتين وحتى يكون قادراً على ممارسة تقديم المساعدة بطريقة إيجابية وصادقة يجب أن تتوفر فيه تلك المميزات.

(١) تصور إيجابى شخصى للإنسان:

إنها الصفة الأولى والأساسية:.. أن يعيش المساعد إنسانيته بعمق. ولكى يحصل تماماً على هذا التصور الإيجابى يجب أن تكون لديه فكرة واضحة عن هذه الموضوعات:

مراحل النمو- الشخصية والملكات الخاصة- تصور الذات وواقعها- الشعور واللاشعور- الحب- الجنس- العلاقات الإنسانية.

فإذا كان المساعد ملماً بهذه الموضوعات ويعيشها هو شخصياً بعمق سوف ينجح فى أن يترجمها فى سلوكه وفى علاقاته مع الآخرين. وسوف يجعله هذا يقبل ويحترم الإنسان الموجود داخل الإنسان الذى يطلب منه المساعدة...!! ويجب أن نشير هنا إلى أن التصور الإيجابى الشخصى الإنسانى هو ثمرة تربية خاصة وخبرات معينة.

(٢) نضوج عاطفى:

النضوج العاطفى هو العامل المصيرى لضمان: اتزان الفرد- أن يكون طبيعياً- أن يكون ذا كفاءة فى إقامة علاقات مع الآخرين.

وفى لقاء المساعدة نجد أن النضوج العاطفى للمساعد يتمثل فى:

(أ) مقدرته على أن يحيى ويحرك فى داخل الشخص الذى يطلب المساعدة (الدينامو) الذى ينظم به شخصيته.

(ب) مقدرته على خلق رباط عاطفى متزن بينه وبين العميل والمحافظة على هذا الاتزان.

(جـ) مقدرته على قبول اضطرابات العميل.

(د) المشاركة فى مسيرة التغيير التى تحدث داخل العميل.

(هـ) توصيل إحساسات حارة صادقة إلى العميل وتأكيدها.

(و) المحافظة على هدوئه أمام تذبذب مزاج وسلوك العميل.

هذا النضوج العاطفى للمساعد هو نتيجة فهمه الصحيح لخبرات معايشته الصادقة للمعانى السامية للحب والعاطفة والجنس والعلاقات الإنسانية.

(٣) معرفة وجودية (كيانية) لذاته:

إن الوسيلة الفعالة الرئيسية للمساعد فى ممارسته لعلاقة المساعدة هى شخصيته نفسها. ومن هنا يجب أن يعرف ذاته جيداً لكى يقدم مساعدة أكثر فاعلية ولكى يتحاشى فى نفس الوقت التدخلات الخاطئة فى حياة العميل حتى لا تكون نتيجة المساعدة سلبية.

وعلى المساعد أثناء اكتسابه للخبرات المختلفة أن يكون متفتحاً واعياً وواثقاً ثقة كاملة فى الإيعازات التى تنبع من ذاته نفسها. لأن الانتباه والتحقق من هذه المواقف تحمل المساعد على معرفة ذاته ليس فقط على المستوى الفعلى ولكن بطريقة وجودية (كيانية). وهذا يساعده على الدخول فى أعماق نفسه مكتشفاً حقيقة ذاته.

(٤) القدرة على التحكم فى اللقاء والقدرة على التوصيل:

من الضرورى أن يملك المساعد المقدرة على تحريك ديناميكية اللقاء والتحكم فى مسيرته. إنه يحقق هذا عن طريق نوعين من التدخل:

أولاً: يتحقق من حالة النفس الداخلية للعميل.

ثانياً: أن ينجح فى فحص (اختبار + تذوق) طبيعة العلاقة القائمة بينهما بالتدريج حتى تتعمق هذه العلاقة.

إن المقدرة على التوصيل تظهر من خلال حالة النفس الداخلية للمساعد وانعكاسها أمام العميل. هذه الحالة الداخلية ستكون أكثر فاعلية بمقدار توصيلها للعميل بطريقة واضحة وغير ملتوية، حيث أن وضوح التوصيل فى اللقاء يجب أن يكون بدقة ويتحقق بكل اهتمام وعناية، وأيضاً بحكمة.

الفصل الخامس

الاحتياجات النفسية للعميل

إن إشباع الاحتياجات النفسية للعميل سواء الفطرية أو الاجتماعية "المكتسبة" يحقق عنده نضوجاً يؤدى به إلى إثبات ذاته وتكامل شخصيته. وهذا هو دور المساعد فى لقاء المساعدة، إنه يساعد العميل لكى يشبع احتياجاته النفسية حتى يكون قادراً على مواجهة مشكلاته والصعوبات المختلفة التى يتعرض لها فى الحياة.

وهذه هى الاحتياجات النفسية الأساسية للعميل :

١- الاحتياج للأمان "الحاجة إلى الأمن"

إن نقص الأمان أو عدمه فى حياة العميل يخلق فيه حالة من القلق والاضطراب تكون بمثابة عائق أثناء جلسة لقاء المساعدة حيث يشعر العميل باللقاء وكأنه تهديد لتكامل "الأنا" الخاص به أو يكون من الصعب عليه الدخول فى علاقة مع المساعد. ويرتكز الأمان على درجة مقدرة العميل فى مواجهة ذاته مستنداً على طاقاته الشخصية المدعمة بوجود مستشار "مساعد" يملك فى ذاته درجة كبيرة من الأمان.

٢- الحاجة إلى الاستقلالية:

إن الاستقلالية والاكتفاء الذاتى يمثلان احتياجاً أساسياً للإنسان بداية من طفولته. فالاستقلالية هى الطابع المميز لنضج الفرد النفسى والاجتماعى بينما نقص الشعور بالاستقلالية يضع الإنسان فى مواقف تعلن الحرمان من هذا الاحتياج وتهدد مسيرة النضج عنده.

ودور المساعد هنا يرتكز فى إنماء وإنعاش وإحياء الهوية الشخصية للعميل ومساعدته فى تحديد صورته أمام ذاته. وليست وظيفة المساعد كما يحدث فى أغلب الأوقات أن ينمى تبعية العميل له.

٣- الاحتياج للفهم:

إن العميل يحتاج أن يعطى معنى واضحاً لأحداث حياته. فالفهم بالنسبة له لا يتحدد داخل المجال العقلى أو الذكائى، ولكنه يرتكز على كل وظائف أعضائه. وعندما يفشل العميل فى أن يعطى معنى لحياته أو لبعض مظاهر الوجود يلاحظ ظهور حالات من القلق والاضطرابات النفسية لديه. إن الاحتياج للفهم يعلن عن ذاته باستعداد فطرى سابق لكى ينظم بطريقة متكاملة الإحساسات المختلفة التى يشعر بها العميل داخل ذاته وفى بيئته. إن واجب المشير "المساعد" هو أن يسهل للعميل مسيرة الفهم فى اللحظات المهمة، ويحرك فيه رغباته "ما يصبو إليه" ويركز انتباهه ويساعده لكى يعبر ببساطة ووضوح عما قد فهمه

٤- الاحتياج للمقدرة الشخصية:

إن العميل يحتاج أن يشعر بأن له فائدة فى الحياة. ولكى يحقق هذا فهو محتاج لأن يحرك فيه المساعد "المشير" الطاقات الداخلية لكى يحقق عن طريقها المقدرة الشخصية.

وعندما ينجح العميل فى أن يعبر بملء حريته عما يرغبه وبالطريقة التى يميل إليها يشعر أن له الدور الرئيسى فى اللقاء.

إن الاحتياج للمقدرة الشخصية يصبح عاملاً بنائياً فى علاقة المساعدة عندما تحصل الاحتياجات الأخرى سواء الفردية منها أو الاجتماعية على اتزان ما.

٥- الاحتياج للحب والإحساس بأنه محبوب:

إن كلمة "حب" تعنى الإدراك لعلاقة إيجابية (وبالتالى كافية) بين عنصر خارجى (شخص أو شىء) وبين احتياج شخصى، فإذا أحس العميل إنه غير محبوب فإن طاقاته تتخذ مواقف دفاعية بدون تفكير وبطريقة غريزية. إن نقص الحب يخلق نوعاً من الخوف الذى يمنع ويعوق العميل من أن يخرج من ذاته ومن تحقيق العلاقة مع المساعد "المشير".

عندما يتم تسديد هذا الاحتياج يظهر لدى العميل نوع من الأمان الذى يحس به فى داخله تدريجياً يتجه لإحساسه بأنه مقبول لأنه لا يواجه إدانة وتأنيب.

الفصل السادس

منهـــــج اللقـــــاء

لقد ظهر لنا بوضوح فى الفصل السابق (الاحتياجات النفسية للعميل- أو طالب المشورة) إن إشباع هذه الاحتياجات يحقق عند الفرد نضوجاً يؤدى به إلى التحقيق الكامل لشخصيته.

وكنا قد تناولنا قبل ذلك أيضاً (الصفات والمميزات الخاصة بالمساعد) سواء ما يجب أن يكون عليه الأول أو ما يحتاج إليه الثانى.

ولكن لا يمكن أن يكون هناك لقاء مساعدة دون منهج يحكمه وينظمه حتى يكون لقاءاً فعالاً وهذا ما سنتعرض له فى هذا الفصل.

منهج اللقاء

إن لقاء مساعدة بدون منهج يكون مثل سفينة بدون (بوصلة) توجهها. إذاً فالمنهج هو بمثابة خطة ومرشد يساعدان المساعد لكى يتبع أسلوباً محدداً جيداً و (تكنيكاً) مناسباً ليحقق بذلك لقاءاً أكثر فاعلية وصحة. ومن جهة أخرى فإن المنهج ينبه المساعد لأية أخطاء محتملة يمكن أن يقع فيها أثناء ممارسته لعلاقة المساعدة.

والآن نحاول عرض الطرق المختلفة التى يمكن للمساعد اتباعها فى لقاءاته، وكذلك النقاط التى نعتبرها مهمة. ولهذا نتعرض لها ولو بطريقة مختصرة وهى:

١- الأسلوب غير المباشر.

٢- إعادة الصياغة.

٣- أوضاع (أشكال) اللقاء

١- الأسلوب الغير مباشر:

نقصد بغير المباشر أو (العلاج غير المباشر) الذى استوحاه كارل روجرز، العلاج المركّز على شخص العميل، الذى فيه تقع مسئولية التقييم واتخاذ القرارات على العميل أكثر من أن تكون على المعالج.

ويحدد روجرز العلاج غير المباشر بهذه الكلمات: "بالمعنى العام للتعبير فهو يتمثل فى أن تكون هناك الثقة فى أن الفرد لديه المقدرة ليعرف ذاته ولديه أيضاً المقدرة على معرفة العالم الخارجى بشرط أن نوفر له الوسائل اللازمة"(١).

(1) MOUSSEAU J, Conversazione con C. Rogers, in "Psicolgia Contemporanea", 7 (1975), 43.

ومن بعد روجرز هناك تلاميذ هو، أكمل تلاميذ روجرز توضيح الاستخدام الصحيح وكذلك موقف المعالج من العميل. ويحدد (Pages) دور المعالج قائلاً: "إنه يتمثل فى موقف أساسى والذى فيه يرفض المعالج أن يوجه العميل إلى طريق معين ويتحاشى أن يجعل الفرد يفكر أو يشعر أو يعمل حسب خطة معينة" أما (Kinget) فهو يظهر الدور الخاص جداً للمعالج والفهم الصحيح (للغير مباشر)، مؤكداً نظرية معلّمه بهذه الطريقة "وجود مواقف معينة للمعالج تجاه العميل، وفهم معين للعلاقات الإنسانية"[٢،١].

وبتعبير آخر استطاع روجرز أن يصل إلى الإقتناع بأن جوهر منهجه فى اللقاء يرتكز ليس فقط على أسلوب العمل بل بالأكثر على كيفية الحضور (الوجود).

ولتأكيد قيمة ذلك الموقف ولتحاشى الاستخدامات الخاطئة له يؤكد روجرز نفسه قائلاً: "حقاً.. إن غير المباشر لا يمكن أن يكون فعالاً إلا بمقدار كونه جزءاً مكملاً لفلسفة الإنسان الذى يقوم بتطبيقها، إنها لا ترتكز على منهج أو (فن) يمكن بسهولة أن نتبناه وبعد ذلك نتركه.

فإذا استخدمه أحدكمجرد وسيلة من الوسائل أياً كانت سيكون هناك الخطر فى أن يجد ذاته حائراً مشتتاً فى اتباع طريقة واحدة. أعتقد أنه يجب استخدام (غير المباشر) بحذر، ومن وجهة أخرى يجب إعداد الشخص (المساعد) قبل أن نسمح له بهذه الخبرة[٣].

وبعد عرض هذه التحديدات نستطيع أن نوجزها هكذا:

من المهم جداً فى علاقة المساعدة أن يكون المساعد قد استوعب تماماً الاستعدادات الأساسية التى سبق شرحها، وأن يظل دائماً ملتزماً بالاتجاه غير المباشر مظهراً بطريقة ملموسة ثقته الخاصة فى الإمكانيات الموجودة فى كل شخص لقيادة ذاته.

٢- إعادة الصياغة:

يحدد لنا الأب جوردانى إعادة الصيغة هذه بطريقة موجزة ومحددة قائلاً: "إنها تكمن فى تكرار ما قد عبر عنه العميل سواء باللفظ أو بأية حركة وإعادة تقديم ذلك بطريقة معادلة"[٤].

إن استخدام إعادة الصيغة يظهر إلى أية درجة قد استوعب المساعد المشكلة ومقدرته فى التعبير عنها بطريقة واضحة ومحددة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن إعادة الصياغة لها أثرها الإيجابى والمشجع بالنسبة للعميل حيث يتأكد أن هناك أحداً يسمعه بجدية ويفهمه بطريقة أكثر عمقاً.

أثناء إعادة الصيغة يشارك المساعد العميل بعمق خبرته بطريقة عميقة. ولذلك وجب عليه أن يتحرر من تفكيره واقتناعاته الشخصية بهدف دخوله تدريجياً إلى عالم العميل الشخصى (الذاتى)، ملتزماً بالتفكير معه وليس فقط بالتفكير فيه.

---

(1) PAGES M., L'orientation non-directive en psychotherapie et en psychologie sociale, Dunod, Paris. 1963, 37.

(2) KINGET M., Psicoterapia e relazione uzmane, Torino, Boringhieri, 1970, 21.

(3) C fr. MOUSSEAU J., Conversazione con Rogers,. 43.

ونحن نعتبر إعادة الصياغة بمثابة المرآة بالنسبة للعميل، والتى أمامها يطمئن أن المساعد يشعر به ويعيش معه مشكلته، وهذا يساعده ويشجعه لتوضيح كل جوانب المشكلة أمام ذاته أولاً قبل أن يكون أمام المساعد، ومن جهة أخرى يساعده موقف المساعد هذا على التنفيس واستخراج كل ما فى جعبته ومن ثم يشعر ولو بطريقة جزئية وكأنه قد طرح حملاً ثقيلاً من فوق كاهليه.

أشكال اللقاء:

ونعنى بذلك الحالات الثلاث للقاء المساعدة والتى تختلف حسب اتجاه تركيزها وهى كالآتى:

١- لقاء متمركز حول المساعد.

٢- لقاء متمركز حول العميل.

٣- لقاء يرتكز على المشاركة "المعاونة" بين المساعد والعميل.

علينا أن نضع فى اعتبارنا أن التفضيل فى استخدام حالة أو آخرى من حالات اللقاء لا يمكن أن يكون اختيارياً أو متروكاً للصدفة، بل كما يقول جوردانى "هذا التفضيل يقوم بحسب ما يعيش ويفهم المساعد دوره الخاص، وبحسب التكوين الذى تلقاه، ودرجة حساسيته. وأيضاً بحسب ظروف العميل (العمر- المستوى الثقافى- استعدادته للقاء) وأخيراً بحسب المشاكل المطروحة. وعلى كل مساعد أن يجد الطريقة التى تتطابق مع طبيعته ومع واقع الحالة التى يواجهها"[1].

١- لقاء متمركز حول المساعد:

فى هذا النوع من اللقاء تكون المبادرة من جهة المساعد الذى يقود اللقاء متخذاً مركزاً مسيطراً "كمن له سلطان" وبنوع خاص فى تحديد بعض الحقائق وبعض الواجبات.

هذا الموقف المتسلط يمكن أن يكون ذا فائدة بشرط أن يكون المساعد ناضجاً ومقتنعاً بالقيم التى يريد تقديمها للعميل.

ويرجع هذا إلى اقتناعه بأن كل شخص يملك فى ذاته المقدرة لتقييم وتوجيه حياته الخاصة بطريقة تحقق آماله ومتطلباته الشخصية.

نفهم من ذلك أن ذاتية العميل هى القاعدة الأكثر تأكيداً وضماناً لتقييم طريقة وجوده ولتوجيهه فى الحياة. حقيقة يوجد فى الإنسان كل الشروط اللازمة لكى يحصل على الحل الأكثر ملائمة لمشاكله. إلا أنه يحتاج للشعور بالثقة بأنه قادر على الدخول فى ذاته لكى يكتشف الحل.

أما بالنسبة لما يخص المساعد فى مثل هذا النوع من اللقاء فهو أنه من المهم قبل كل شىء أن يعير انتباهاً لذاتية العميل مقدراً إياها، عاملاً على استقرار علاقة ثقة معه. إنه يضع العميل فى حالة أمان ويوجهه إلى أسلوب يتفق مع آماله ويشجعه للتعبير بحرية عن إحساساته أثناء الحديث.

أخيراً، أياً كان القرار النهائى الذى اتخذه العميل لحل المشكلة فالمساعد يجب أن يستمر فى إعلان

(1) C fr. GIORDANI B., La relazione di aiuto., 287.

موافقته الشخصية مستبعداً أية محاولة لتقديم حل آخر غير الذى قدمه العميل.

٣- لقاء متمركز حول المعاونة بين المساعد والعميل:

هذا النوع من اللقاء يرتكز على المشاركة بين المساعد والعميل فى البحث عن أسس لتقييم الحالة "أو المشكلة" موضع البحث. ومن جهة أخرى فهما معاً يستندان إلى قاعدة للتقييم جاهدين فى تحويل القواعد "الأسس" الموضوعية إلى أسس ذاتية

هذا الشكل من أشكال اللقاء يتطلب من المساعد أن يكون:

١- شاعراً بالآخر، محترماً لاستقلالية العميل ومحركاً فيه رغبته فى تحقيق ذاته.

٢- واقعياً، مسايراً الإيقاع الشخصى لنمو العميل.

نلاحظ أثناء لقاءات من هذا النوع أنه يتم بسهولة استخدام الاستعلامات أو إعادة الصياغة من جهة المساعد وهذا ما يميز اللقاء الروجرزى. (نسبة إلى روورجرز).

إن اللقاء المتمركز حول المعاونة بين المساعد والعميل يتطلب حضوراً كيانياً وكلياً، ويتطلب أيضاً مشاركة متفتحة وصريحة من طرفى اللقاء، وأن يكونا كلاهما متفقين فى إدراكاتهما الخاصة حتى يقيّما الحالة جيداً، ومعاً يحاولان حل المشكلة.

بعد هذا العرض للأشكال الثلاثة للقاء نحاول الحصول على فكرة واضحة من خلال هذا الجدول الذى يلخص ويحلل المواقف المختلفة والتقنية المتبعة فى كل شكل من أشكال اللقاء.

وهكذا نكون قد ألقينا الضوء على منهج اللقاء داخل علاقة المساعدة سواء من جهة الأسلوب والطريقة (غير المباشر + إعادة الصياغة) أو من جهة الشكل (لقاء متمركز حول المساعد+ حول العميل+ المعاونة بينهما).

نوع اللقاء	مواقف المساعد		التقنية
(١) مركّز على المساعد	متسلط	مباشر	١- نصيحة مباشرة ٢- تقييم ٣- بحث الحالة
(٢) مركّز على المعاونة	ديمقراطى		٤- استخدام الإحساسات ٥- اقتراحات للحل ٦- التفسير الذاتى ٧- بحث يعطى دفعة ٨- تشجيع
(٣) متمركّز على الشخص العميل	شعورى	غير مباشر	٩- استعلامات ١٠- انعكاس الإحساسات ١١- إعادة الصياغة ١٢- صمت

الفصل السابع

الاستشارة النفسية داخل علاقة المساعدة

فى هذا الفصل سوف نتعرض لموضوع الاستشارة النفسية داخل علاقة المساعدة: ما هو مفهوم هذه الاستشارة....؟

وكيف يجب أن تكون العلاقة بين المشير والعميل.....؟

وما هى المبادىء والقواعد الأساسية التى يجب أن يتبعها كل من المشير والعميل حتى تكون هناك علاقة استشارية سليمة تثمر ثمارها المرجوة...؟

١- مفهوم الاستشارة النفسية داخل لقاء المساعدة:

معنى الاستشارة النفسية الذى نريد أن نلقى عليه الضوء هنا نجده بطريقة واضحة فى كتاب بعنوان (الاستشارة)[1].

وفى الواقع يوجد بعض الأشخاص (غير ناضجين- جهلاء- خجلون- شكاكون- غير متزنين) يحتاجون لمثل هذه المبادرة والتوجيه والقيادة وهذا التسلط.. أو بمعنى آخر لشىء يساعد بالأكثر لتوضيح وإنارة حالتهم.

بهذه الطريقة يعاون المساعد العميل لكى يضع إطاراً لحالته وهكذا يستطيع اتباع الخطة "الطريقة" التى يتبناها المساعد.

إن خطر استخدام الموقف التسلطى من جهة المساعد يظهر بوضوح عندما يكون هو نفسه غير ناضج أو متمركزاً حول ذاته. ويصبح من السهل أن يقع فى التسلطية أو الأبوة المبالغ فيها، أما العميل فيشعر بنقص الاحترام أو الإحساس بالتبعية.

٢- لقاء متمركز حول العميل:

فى مثل هذا النوع من اللقاء يلعب العميل دور البطولة. إن اللقاء بهذا الأسلوب يتفق مع نظرية "العلاج المتمركز حول العميل" التى استوحاها روجرز الذى ركز على الدور الرئيسى للعميل فى اللقاء في مؤلفه Adrian Van Kaam * والذى من خلاله يوضح أن الاستشارة هى قبل كل شىء لقاء إنسانى. وكان من الطبيعى أن يبدأ المؤلف بسؤال وهو:

---

(1) VAN KAAM A., II Counseling, una moderna terapia csistenziaec, Ed. Citta Nuava, Roma, I

* المؤلف هنا يعرض خلاصة تفكير Adrian Van Kaam حول الاستشارة النفسية.

ماذا نعنى بلقاء إنساني ؟

ولكى نقدم إجابة واضحة لهذا التساؤل نقول: إن اللقاء الإنسانى الحقيقى هو الذى فيه يكون المستشار حاضراً بكل كيانه الشخصى بكل اهتمام. هذا اللقاء الإنسانى يبدأ بنداء موجه من العميل- بدون قناع اجتماعى- إلى المشير الذى يجد نفسه هو أيضاً مدفوعاً- وبدون قناع اجتماعى- لأن يقدم له إجابة صادقة تتعدى الشكليات والأحداث عائشاً معه الحالة فى واقعيتها الكاملة.

والمشير أمام المعلومات التى يعرفها عن العميل "كدرجة ذكائه- درجة نجاحه فى اختبار الكفاءة-العمر - حالته الاجتماعية "فهو لا يتوقف عند هذه المعطيات عندما يقوم بخبرة لقاء إنسانى حقيقى بل إنه يضع فى اعتباره قبل كل شيء الكيان الشخصى لعميله كمحور أساسى يفوق اعتباره للصفات القياسية والموضوعية.

٢- العلاقة بين المشير والعميل:

فى المقام الأول يجب أن تكون علاقة إنسانية، وأن تكون أيضاً علاقة ناجحة وكى تكون هذه العلاقة صحيحة فهى تتطلب بعض الشروط والمبادىء التى يجب أن يتبعها كل من المستشار أو العميل، ولهذا سوف نتفحص الآن موقف كل من الطرفين على حدة.

أ- المشير:

أولاً: على المشير أن يتفادى تماماً أى نوع من محاولات السيطرة أو التحكم أو التوجيه لحياة العميل. إنه يجب أن يتعامل معه كذات حرة. بل أكثر من ذلك فعلى عاتقه تقع مسئولية معاونة العميل لكى يعيش حياته جيداً.

المبدأ الرئيسى هو الاحترام: فالمشير الحقيقى هو الذى يظهر أقصى احترام لمسئولية العميل عن نفسه، واحترام طريقة وجوده فى العالم بهدف مساعدته لكى ينمى قدراته الحالية رويداً رويداً حتى يصل إلى أن يحقق ذاته فى عالمه وحياته وحالته الحاضرة. وكما يقول Van Kaam إن المستشار ذو الخبرة يشارك فى تحقيق الذات الحرة للعميل بمقدار ما يتطلب الواقع، فالاستشارة الصحيحة تتجنب أى عنصر يمكن أن يعوق أو يمنع تحقيق ذلك لأن المشير يضع فى الاعتبار الدعوة الخاصة للعميل فى الحياة وكذلك الحالة الكيانية الحقيقية التى يعيش فيها"[1].

ثانياً الثقة: وللحصول على الثقة الكاملة فهذا يتطلب الحضور الكامل والمحايد للمشير أمام العميل. إن الثقة الحقيقية التى يقدمها له هى بغير حدود وهو يظهرها باهتمام علاجى غير مشروط، هذا الموقف من طرف المستشار هو فى ذاته ولذاته بمثابة نداء للعميل لكى يلتزم هو أيضاً بهذه الثقة مثله.

إن المستشار الواعى والناضج هو الذى يساعد العميل لكى يختار الطريق الصحيح بنفسه أن يتحاشى

(1) Cfr. VAN KAAM., Il Counseling...., 28.

أى اختيار خاطىء.

ب- العميل:

أولاً قبول العميل للمشير: كمبدأ -حسب القاعدة الأساسية فى علاقة المساعدة- يجب أن يقبل العميل بملء حريته أن يكون المشير فى خدمته. فالاستشارة النفسية تصبح صادقة وفعالة فقط بالقبول الحر والمعاونة من جهة العميل.

ثانياً الاستقلالية: فالعميل يجب أن يتحرر باستمرار من أية تبعية للمشير، مالكاً لوجودة ومحافظاً دائماً على استقلاليته الحرة.

ثالثاً تبادل الثقة والاحترام بين المشير والعميل: وهكذا يتحقق نداء العميل الذى وجهه للمشير حاصلاً على الإجابة التى كان يرغبها، وبمعنى آخر: إن العميل كان ينتظر من المشير ثقة واحترام وعندما يحصل عليهما فهو بدوره يقدمهما المشير.

رابعاً تحاشى أية علاقة عاطفية مع المشير: فهو يجب أن يعتبره فقط كشخص وُضع فى خدمته لمساعدته فى وقت معين وليس للارتباط به فى علاقة دائمة. وعلى نفس المنوال توجد ضرورة أخرى وهى أن العميل يجب أن يتحاشى أى نوع من محاولات التشابه مع شخصية مستشاره لأنه فى الظاهر سيقوم فقط بتقليد شخصية المشير ولكن فى حقيقة الأمر لن يستطيع العميل أن يحمل للنهاية القناع الذى يجعله متشابهاً بمشيره لأنه فعلاً لا يوجد اثنان متشابهان تماماً.

خامساً الصراحة المتبادلة: يجب أن يكون العميل صريحاً مع مشيره كما يجب عليه أن يكون صريحاً وواضحاً ومخلصاً مع نفسه.

الفصل الثامن

(الاستشارة الروحية)
الإرشاد الروحى كلقاء مساعدة

بعدما عالجنا فى الفصول السابقة موضوع علاقة المساعدة من الناحية النفسية، وبنوع خاص لقاء المساعدة الذى وضع أسسه كارل روجرز، ننتقل الآن إلى تطبيق هذه الأسس النفسية داخل لقاء المساعدة الروحى الذى يُسمى بالإرشاد الروحى. وقد بدأ هذا التطبيق فى أمريكا عام ١٩٢٠ وانتشر بعد ذلك فى أوربا عن طريق بعض الرعاة الهولنديين والألمان الذين كانوا تلاميذ لكارل روجرز.

وفى هذا الفصل وما سيتبعه سوف نعالج هذا الموضوع -أى تطبيق الأسس النفسية داخل لقاء المساعدة الروحى- والذى فيه سنحلل طبيعة ومعنى الإرشاد الروحى وعلاقته مع علم النفس العلاجى، ثم بعد ذلك نتجه إلى شخصية المرشد الروحى حيث نتناول الصفات التى يجب أن يتحلى بها، وأيضاً الدور الذى يقوم به كمساعد روحى ونفسى فى ذات الوقت.

طبيعة ومعنى اللقاء الروحى:

يبدأ اللقاء الروحى عندما يتجه المؤمن إلى المرشد الروحى طالباً مساعدته. فهو فى بحثه عن الامتلاء فى الحياة الروحية، وفى رغبته للاستفادة، وفى امتلاكه للإرادة الصالحة التى تجعله يلتزم التزاماً شخصياً لكى يحقق المبادىء والقيم التى تتطابق مع هذه الحياة، فهو لهذا كله يتجه للمرشد الروحى طالباً مساعدته

والدور الأساسى للمرشد الروحى هنا هو أن يحرك فى المؤمن مسيرة نضج داخلى تجعله قادراً أن يحيا القيم الدينية والإنسانية بعمق وامتلاء دائم. لقد سبق ورأينا فى موضوع الاستشارة النفسية كلقاء إنسانى إن اللقاء يبدأ بنداء يوجهه العميل إلى المشير، أما هنا فى اللقاء الروحى فإن المبادرة تبدأ بنداء يوجهه الله إلى الإنسان عن طريق الأحداث اليومية مما يدفعه لأن يتجه إلى المرشد الروحى.

وهذا الأخير يقدم له المساعدة ليسهل عليه سماع وقراءة هذا النداء ومحركاً انتباهه ورغبته فى أن يكون مسئولاً وملتزماً فى حياته.

فى اللقاء الروحى نجد موقفين: أحدهما علاجى -على المستوى النفسى والعيادى- وذلك فى الحالات الخطرة. وهنا يكون المرشد الروحى عالم النفس (الذى تخصص فى العلاج النفسى) هو فقط القادر على تقديم المساعدة.

أما الموقف الآخر فهو عادة فى الحالات الأقل خطورة، وفيه يقدم المرشد الروحى المساعدة للأشخاص

الذين يحتاجون لتوضيح واجباتهم الدينية، أو الذين يمرون بصعوبات أدبية أو دينية بنوع خاص، أو الذين يمرون بأزمة في الضمير، أو الذين يريدون اتخاذ قرار مصيرى فى الحياة. ولكى يدير المرشد الروحى مثل هذا النوع من اللقاء بطريقة أكثر فاعلية فمن الضرورى أن يكون قد مر بدراسات فى العلوم الإنسانية، وبنوع خاص يكون قد بدأ بالفعل فى اتباع منهج معين فى علاقة المساعدة.

وفى داخل اللقاء لابد أن نضع فى الاعتبار البعد النفسى وكيفية استخدام مبادىء علاقة المساعدة النفسية لخدمة اللقاء الروحى. ومن جهة أخرى فإن المساعدة التى تقدم بهدف روحى تخدم فى نفس الوقت الحالة النفسية..... أما عندما يوجد المرشد الروحى أمام حالات معقدة تتعدى البعد الدينى، ويشعر أنه غير قادر على معالجتها، فيجب عليه بكل أمانة وتواضع أن يوجه المؤمن إلى أخصائى نفسى وعصبى من أهل الثقة. وخلاصة القول في طبيعة ومعنى اللقاء الروحى بين المرشد كمستشار والمؤمن كعميل هو: المساعدة التى قدمها المرشد الروحى للمؤمن لكى يتعلم كيف يتصرف بطريقة تجعله يضع استعدادته و "ميكانزماته" النفسية فى خدمة الاحتياجات والمُثل الدينية.

الإرشاد الروحى والعلاج النفسى :

قبل كل شىء يجب أن نحذر من الخلط بين إرشاد روحى حقيقى وبين مواقف علاجية. لذلك يجب أن نميز بين لقاء ذى طابع وهدف علاجى نفسى أو لإعادة التربية، وبين لقاء ذى طابع دينى روحى.

ويقول العالم جولد برنر: "هناك فرق واضح بين علاج المركب الإنسانى (نفس وجسد) وبين علاج الروح، بين الطبيب أو المعالج وبين المرشد الروحى، وبين المريض النفسى (الزبون) وبين المؤمن المهتم بمسيرة روحية خاصة"[(١)].

إن إرشاداً روحياً حكيماً ومستنيراً يحمل فى ذاته قدرة علاجية للنفس البشرية، يجب أن يتبع منهجاً يشبه المنهج العلاجى، خاصة وإنه فى المجال العلمى يشترك نوعا اللقاء فى نقاط عديدة،لا بل وأكثر من ذلك إنهما يجب أن يتكاملا.

ولا يمكن أن ننكر الجانب البشرى الذى يؤثر تأثيراً مباشراً على الاستعدادات الروحية، لذلك فإن المساعدة التى يقدمها المرشد الروحى للمؤمن هى مساعدة شاملة، وهى تنمى التقدم الروحى كما تؤثر إيجابياً على الحياة النفسية. إن هذا الأمر يفسر البعد العلاجى الذى يمكن أن يقدمه الإرشاد الروحى.

إن التكامل بين الإرشاد الروحى والعلاج النفسى يتطلب تكويناً نفسياً خاصاً للمرشد الروحى وإلماماً ،لوم الإنسانية واتباع منهج ملائم فى العلاقات بين الأشخاص يخدم هذه الرسالة.

وللمزيد من الفائدة نقيم مقارنة بين الاستعداد الباطنى والالتزام الشخصى لكل من المعالج والمرشد روحى:

---

(1) GOLDBRUNNER J., Sprechzimmer und Beichtstuhl. Ueber Religion und Psychologie, Herder, Freiburg, 1965, 69.

١- المعالج:

إذا لجأ إلى المواضيع الدينية فإنه يهدف من وراء ذلك إلى تحرير الشخص من القيود الفكرية المسيطرة عليه، ولا يهدف إلى تنمية حرية بنائية فى هذا المجال

- إنه يكون مجرد صدى لتفاعلات العميل الباطنية ولا يقدم شهادة شخصية للقيم.

- إن معاونته تتيح للعميل فرصة رؤية أوضح للموقف.

- إنه لا يقدم فى حواره حقائق وقيماً يعيشها شخصياً.

٢- المرشد الروحى:

- للمرشد الروحى علاقة نبوية بالمؤمن: إنه يقدم شهادة عن عالمٍ متسامٍ وروحى.

- إنه يقدم قيماً وتوجيهات ذات أهداف روحية.

- إنه يشترك شخصياً فى الحوار مقدماً خبرته الخاصة لإثبات ما يقول.

- إنه يضع تحت تصرف المؤمن -إذا لزم الأمر- الوسائل التى تغذى إيمانه والتى تجعله مطمئناً لاختياراته.

يتضح لنا من هذه المقارنة تفوق وتقدم المرشد الروحى على المعالج، إذ إنه يستطيع -استناداً على استعداد نفسى ومنهج ملائم فى مجال علاقة المساعدة- أن يؤدى خدمة ثمينة للذين يتعرضون لاضطربات شديدة سواء فى المجال النفسى أو فى المجال الروحى.

الفصل التاسع

المرشد الروحى
شخصيته- دوره الروحى والنفسى- صفاته
(مواهب ومزايا)

بدأنا فى الفصل السابق (الإرشاد الروحى كلقاء مساعدة) بتطبيق الأسس النفسية لعلاقة المساعدة داخل الإرشاد الروحى، وفيه تعرضنا لتحليل طبيعة ومعنى علاقة المساعدة الروحية وعلاقتها بعلم النفس العلاجى.

ونواصل فى هذا الفصل معالجة هذا الموضوع حيث نتجه إلى شخصية المرشد الروحى لنتعرف على ملامحه، ونلقى الضوء على الدور الذى يقوم به سواء من الناحية الروحية أو من الناحية النفسية التربوية، ثم بعد ذلك نتناول الصفات التى يجب أن يتحلى بها حتى يقوم بهذه الرسالة على أكمل وجه.

صورة وملامح المرشد الروحى:

إن المرشد الروحى هو قبل كل شيء خادم ورسول الخبر السار إن رسالته خارقة للعادة، ولذا تستلزم استعداداً خاصاً والتزاماً معيناً فى الحياة إذ ينتظر منه المؤمنون مستوى معين من الكمال والاستعداد للخدمة والكفاءة فى المجال اللاهوتى والأخلاقى، والتزاماً أكثر من غيره. ولذلك وهو يعيش دعوته كأخ بين إخوته، وكخادم للذين يحتاجون لخدمته. فهم ينتظرون أن يكون مثلهم مما يطمئنهم لحسن قبوله واستقباله لهم، وفى نفس الوقت يشعرون إنه يختلف عنهم ولذلك فهو يستطيع أن يساعدهم.

وبالرغم من الحاجة إلى نصائح المرشد الروحى وأهمية حضوره فى حياة المؤمنين إلا إنه فى الآونة الأخيرة قد تقلصت ملامحه لأسباب عديدة ومختلفة، أولها لأن لأن العامل التوجيهى أصبح أقل قبولاً، وذلك لوعى الإنسان بذاته واكتفائه بقدراته الخلاقة وامتلاكه لقراره.

وسبب آخر يقف حائلاً دون سهولة قبول صورة المرشد الروحى هو أزمة القيم التى تدفع بعض الناس إلى مقاومة أى نوع من أنواع السلطة سواء فى المجال الأسرى أو المدرسى أو السياسى لا وبل فى المجال الدينى أيضاً، ولذلك فهو يعتبر تدخل المرشد الروحى مساساً بحريته الشخصية..... إلخ. إن الإنسان يمر بأزمة من حيث هو إنسان إذا تسلطت عليه الأنانية والانتهازية والاكتفاء بالذات وبملكاته الإبداعية. ومن جهة أخرى يتواجد المرشد الروحى اليوم فى عالم يمر بأزمة علاقات إنسانية بين الآباء والأبناء فيحاول الأبناء أن يزيلوا صورة الآباء متمردين على أبوتهم.

أضف إلى ذلك أن الإرشاد الروحى فقد أهميته بسبب التعلمن داخل مكانة التحليل النفسى، لقد

حجّمت هذه الأزمات صورة المرشد الروحى اليوم.... ولقد لخص البابا بولس السادس ذلك بقوله: "إنه زمن يهتم بالحصول على الملكوت الأرضى وليس على الملكوت السماوى، زمن أصبح فينا تناسى الله متواتراً ومستمراً بسبب التقدم العلمى، إنه زمن يتجه فيه الإنسان بفعل وعيه بذاته وبحريته إلى التصرف باستقلالية مطلقة متحرراً من كل قانون سام. إنه زمن وصلت فيه تعبيرات الروح إلى أعلى درجات عدم التعقل والإحباط"(١) إن هذه الآراء ليست حكماً سلبياً لتثبيط همة المرشد الروحى، ولكنها آراء تساعده حتى يتعرف على المشاكل التى تعترضه لكى يتغلب عليها فيصبح لسان حال المبشر للخبر السار، وأباً للمحزونين ومرداً يقود الذين يعيشون إيمانهم الذى قبلوه فى المعمودية.

الدور النفسي والتربوي:

لا يمكننا القول بأنه لابد أن يكون المرشد الروحى عالماً نفسياً متخصصاً، ولكن من المفيد جداً أن يكون لديه إلمام بالعلوم الإنسانية وخاصة بعلم النفس مما يساعده على ممارسة دوره الاستشارى. وهذه هى الرغبة المشروعة لكثير من المرشدين الروحيين الذين ليس لديهم إمكانيات أو الرغبة فى دراسات متخصصة طويلة فى التحليل النفسى إلا إنهم يرغبون فى حدود إمكانياتهم مساعدة الأشخاص الذين يلجأون إليهم لحل مشاكلهم وإن لم تكن مشاكل روحية بحتة.

هذا الإلمام بالعلوم الإنسانية إلى جانب التكوين النفسى يمنحان المرشد الروحى نوعاً من الكفاءة لممارسة دور المستشار النفسى بالإضافة لدوره كمستشار روحى أو أب روحى. وترتكز طريقة الإرشاد على علوم (وتكنيك) ديناميكيات نفسية- جسدية- اجتماعية) وعلى نوع من الخبرة بمشاكل الحياة، وتكوين لاهوتى (عقيدى- أدبى- روحى-) وعلى تمارين وممارسات عملية مطابقة للظروف الرعوية. فمن المعروف أن الإنسان ليس مجرد جسد ولكنه أيضاً روح، إنه لا يتحرك فقط فى المجال الطبيعى، ولكن أيضاً فى المجال الفائق الطبيعة. ومن ناحية أخرى لا يقتصر عمل المرشد الروحى المربّى على المجال الروحى إنما يؤثر أيضاً على الإنسان كاملاً بكل أبعاده.

إن العلاقة التى تربط المرشد الروحى بالمؤمن هى علاقة (المعلم- التلميذ) ولكل منهما حقوق وواجبات المعلم والتلميذ. فللمرشد الروحى مسئولية تربوية على تلميذه المؤمن، وعلى هذا الأخير أن يكون مطيعاً أميناً محباً ومحترماً لمرشده.

ويقوم واجب المرشد الروحى التربوى فى تنوير المؤمن ليختار الاتجاه الصحيح لحياته الخاصة، وليكتشف فى ذاته إذا ما كان هذا الاتجاه مطابقاً لخطة الله. ولكى يعرف كيف يستغل كل طاقاته الداخلية للسير قدماً نحو الكمال الإنسانى- الروحى. وبهذا يصبح دور المرشد الروحى التربوى مساعداً ومحفزاً ومشاركاً لكى ينفتح المؤمن على النعمة، ومن ثم يلجأ إليه بكامل حريته من أجل لقاء مثمر.

(1) PAOLO VI, OMELIA NELLA 9a sessione de iconcilio, 77 dicember 1965: EV, 1, 275-277.

مواهب ومزايا المرشد الروحي:

إن المرشد الروحى قبل كل شيء رجل الله. وهذه هى صفته الأولى والأساسية فالمؤمن يرى فيه شخصاً اختاره الله ليتدخل لأجل صالح البشر فى علاقتهم مع الله. والآن نرى سوياً أهم الخصائص التى يجب أن يتحلى بها المرشد الروحى:

أ- النضج الإنسانى

ب- ملكة التربية.

ج- ملكة الفطنة.

أ- النضج الإنسانى:

إن المرشد الروحى لكى يصبح موجهاً ومربيا ومستشاراً قادراً على التخاطب مع المؤمنين يجب أن يكون قد وصل إلى درجة كافية من النضج الإنسانى الذى يساعده على أن يعيش حياة غنية ومليئة بالمواهب الإنسانية بانسجام وتوافق مع ذاته ومع الآخرين. كما يجب أن يكون قادراً على تكوين علاقات مع الآخرين، وأن يكون قادراً على السماع لهم والحوار معهم.

وأن يكون قادراً على معايشة مشاكلهم مشاركاً إحساسهم بها، وأن يعرف كيف يجعل الذى يثقون فيه أن يعيشوا هذه المشاكل بطريقة جديدة. إن صفات المرشد الروحى الإنسانية تساعده على التعامل مع المؤمنين بطيبة وتفاهم وتحمُّل ليسهل لهم مسيرة الحياة وتجعله مثالاً للشخص الناضج الملىء بالفطنة. ويساعده النضج الإنسانى هذا على قبول الآخرين كما هم، وأيضاً يساعده على تكوين علاقة صداقة حقيقية وثقة متبادلة معهم مما يسهل وييسر التفاهم والاتصال فيما بينه وبينهم.

وأخيراً يجب على المرشد الروحى أن يكون حريصاً فى علاقاته الإنسانية مع الآخرين لأنه كما يقول الأب جوردانى "يظل الخطر قائماً فى أن تتحول العلاقة بين المرشد والمؤمن إلى علاقة بشرية بحتة قائمة على العواطف، وذلك بسبب الحرمان العاطفى الذى يحتمل أن المؤمن يعانى منه بسبب تربيته بطريقة ما فى سن المراهقة. ويظهر عدم النضج العاطفى فى محاولاته لإسقاط ذلك على المرشد الروحى وبنوع خاص إذا كان المرشد نفسه لم يوظف احتياجاته العاطفية داخل مبادىء وقيم أخرى أهمها شخص المسيح الذى من خلاله يقدم المساعدة للمؤمنين، وهو أيضاً الهدف الذى يريد أن يحصل إليه الذين يلجأون طالبين مساعدته"(١).

ب- ملكة التربية:

ويواصل الأب جوردانى قائلاً: "المرشد الروحى هو مربٍ على مستوى عالٍ، ولرسالته التربوية تأثير خاص فى المجال الروحى.وبذلك يكون دوره فى الكنيسة دور مربى الروح على الإيمان والتقوى وأداة الروح القدس لمساعدة الأشخاص على أن يكونوا أشخاص متكاملى التكوين فى كرامتهم كبشر وكمؤمنين"(٢).

(1) GIORDANI B., MERCATALIA., Ladirezione Spirituale... 67.
(2) GIORDANI B., MERCATALIA., Ladirezione Spirituale... 66.

سبق وأشرنا في كلامنا عن الدور النفسي التربوى للمرشد الروحي أنه تنشأ بينه وبين المؤمنين علاقة: المعلم- التلميذ، وهذا يتيح للمرشد أن يقوم سواء بدور الموجه الروحي أو المستشار التربوى، وهذا يجعله قادراً على مساعدة المؤمن لكى يختار الاتجاه الصحيح لحياته الخاصة الإنسانية والروحية.

ج- ملكة الفطنة:

إن الفطنة هي فن الإدراك الملموس اللازم للاقتراب من الحالة المعروضة بما فيها من إيجابيات وسلبيات لتحليل مظاهرها ونتائجها المختلفة وذلك لتحديد جوهر المشكلة وإيجاد الحلول المناسبة. إن الفطنة تساعد المرشد على أن يتفادى الأحكام المسبقة، لا بل الأحكام نفسها. كما تساعده على ألا يكون متسلطاً في أسلوبه أثناء الحوار بل يحترم الشخص الإنساني الموجود أمامه وذلك بأن لا يعطي نفسه الحق بأن يقرر بدلاً منه.

الفصل العاشر

المرشد الروحي والاستعدادات الأساسية

في هذا الفصل نتناول شخص المرشد الروحي، من حيث الاستعدادات الأساسية التي يجب أن تتوفر فيه أثناء قيامه بلقاء المساعدة... هذه الاستعدادات لا غنى عنها لنجاح اللقاء، وهي تختلف عن المزايا كصفات شخصية تجعل المرشد متميزاً عن غيره والتي تناولناها في مقالنا السابق.

الاستعدادات الأساسية للمرشد الروحي:

يتطلب أي نوع من أنواع المسيرة المشتركة سواء على المستوى الروحي أو النفسي استعدادات أساسية هامة يجب أن تتوفر في شخص المرشد الروحي أثناء اللقاء. وقد اقترح روجرز بعض الاستعدادات في المجال العلاجي والتي يمكن تطويعها لخدمة الإرشاد الروحي. ولا غنى للمرشد الروحي عن هذه الاستعدادت، إذ أنها تساعد المؤمنين الذين يلجأون إليه على اكتشاف الذات والتعمق في معرفتها.

وها نحن نلقي الضوء على أهم هذه الاستعدادات:

١- المصداقية:

يمكننا أن نعرف المصداقية بطريقة عامة على أنها عكس الزيف. وهي الصورة الفعلية التي ترفض أي قناع... إنها الصورة الحقيقية التي يكوّنها المرء عن نفسه. هذا ما يجب أن يعيشه دائماً المرشد الروحي قابلاً نفسه كما هو، مقيماً علاقة حرة أصيلة مع ذاته ومع الآخرين ومع الله. وعلى المرشد الروحي أن يعرف ذاته على حقيقتها وأن يقبل حتى الجوانب السلبية لشخصيته وألايختبيء وراء رسالته. ومن جهة أخرى فإن مصداقية المرشد الروحي تساعد المؤمنين في معرفة ذواتهم وقبولهم لأنفسهم كما هم.

ولا يجب على المرشد الروحي أن يظهر غير ما يبطن. فإذا ما شعر بشيء سلبي تجاه المؤمن أثناء لقاء المساعدة فعليه ألا يخدع المؤمن مظهراً له عكس هذا الشعور، بل يجب عليه أن يظهر له شعوره الحقيقي معلناً أن هذا هو انطباعه الشخصي، ولكن يشترط في ذلك أن يكون قد اكتسب ثقة المؤمن حتى لا يسبب له جرحاً أو نفوراً. ومن جهة أخرى فنحن نؤيد أن المرشد غير ملزم بكشف حالته الداخلية أمام العميل، ولكن لا يجوز له خداع من يلجأ إليه بثقة. إن المصداقية تسمح بإقامة حوار متسم بالثقة والصراحة مما يساعد المرشد على إظهار ردود أفعاله بدون لبس. ويصف روجرز مصداقية المساعد في لقاء المساعدة بقوله: "إذا استطعت أن أقيم علاقة مساعدة مع نفسي، أي إنه إذا استطعت أن أكون واعياً بمشاعري ومستعداً لمواجهتها فإن احتمال إقامة علاقة مساعدة مع الآخرين يكون كبيراً جداً." [1]

(1) ROGERS C., La terapia centrata sul cliente, Firenze, Martinelli, 1970, 80.

إذا نقصت المصداقية نقص بالتالى وضوح الاتصال وسبّب تشتُّتاً وأقام حاجزاً من عدم الثقة بين المرشد والمؤمن وربما بين المؤمن، والله. أما توافر المصداقية فيساعد المرشد على خلق جو من الصراحة والثقة المتبادلة فى الحوار، ويعى المؤمن ذلك ومن ثم يعتبر المرشد أهلاً للثقة فيجد نفسه مستعداً للتخلى عن المواقف الدفاعية وعن الأقنعة التقليدية وأن يقر بصراحة بحدوده.

٢- تفهم متعاطف:

عرّفت السيدة KINGET وهى إحدى مساعدات كارل روجرز مفهوم التعاطف بهذه الطريقة: "إنه القدرة على الغوص فى عالم الآخرين ومشاركتهم خبراتهم بقدر ما يسمح بذلك التواصل اللفظى. وبعبارة أسهل هو القدرة على وضع النفس مكان الآخر ورؤية العالم كما يراه هو"[١].

كما يمكن وصف التفهم المتعاطف بأنه إحساس بمركزية الآخر. ويقوم هذا الإحساس فى استقبال وإرسال المعنى الذاتى والموضوعى للتواصل، أى فهم المضمون المادى للتواصل والحالة النفسية التى يعيشها الآخر....

فلكى تفهم شخصاً آخر لابد من الدخول فى عالمه الباطنى، والشعور بمشكلته وتشخيصها، والتعبير عنها وأيضاً احترام طريقته فى التعبير عن خبرته الخاصة.

ولكى يصل المرشد الروحى إلى التفهم المتعاطف مع المؤمن أثناء اللقاء، يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الجانب العاطفى أثناء الحوار، ولكن عليه أن يحذر من الوقوع فى مطابقة أحاسيسه الخاصة مع أحاسيس المؤمن. أضف إلى ذلك أنه يجب أن يجد الطريقة التى فهم بها نفسه والواقع؛ مع التركيز على المضمون والمحتويات الموضوعية للمشكلة، والبعد عن الانفعالات الشخصية، أو إبداء أرائه الخاصة ليتمكن من ملاحظة الواقع ودراسته كما لو كان هو المؤمن نفسه.

بعد أن يعرض المؤمن مضمون الموضوع يعيد المرشد صياغته دون أن يبتعد عن معناه الحقيقى -سواء بالإضافة أو الحذف- مكتفياً بتحديد حالة المؤمن بوضوح ومحاولاً التعمق فى حالة المؤمن الباطنية التى لا يستطيع هو أن يعبِّر عنها. وهكذا يستطيع المرشد الروحى أن يكون رفيق مسيرة للمؤمن وأن يدخل فى عالمه ليكتشفه ويفهمه ويقبله ويعيشه ويثمر فيه. كل ذلك بشرط أن يكون متعاطفاً معه وأن يعبر له عن هذا التعاطف.

٣- تقدير إيجابى ودود:

يقوم هذا الاستعداد فى موقف باطنى ملىء بالثقة من -جهة المرشد- فى ملكات وكنوز الشخص الذى يطلب المساعدة، وفى مفهوم إيجابى ومتفائل للطبيعة البشرية، وفى حساسية خاصة، تجاه القيم وقبول واحترام كل شكل من أشكال خبرة المؤمن، والاقتناع بأن هذا الشخص يستحق الاستقبال والاستمتاع

(1) ROGERS C.,KINGET M.G., Psicoterapia e relazione umane, Torino, Boringhieri 1970, 92.

والحب.

ويعرف Auger التقدير الإيجابى الودود بالعبارة التالية: "إنه موقف داخلى للمشير يعتبر بموجبه العميل شخصاً مقبولاً وموضع عطف وحب[1] ويخلق هذا الموقف مناخاً ملائماً لعلاقة دافئة يشعر فيها المؤمن بأنه مقبول تماماً ومحبوب حقيقة مما يولد فيه وعياً ورغبة فى استمرارية الحياة.

ويجب على المرشد الروحى أثناء لقاء المساعدة أن يترك جانباً مقاييس رؤيته الخاصة الموضوعية لكى يستطيع أن يغوص فى عالم المؤمن الشخصى ولكى يقبله كما هو، وأن يتحاشى الدخول فى نقاش حول الموضوع والمعنى والقيمة الأدبية بطريقة موضوعية. هذا القبول غير المشروط يجعل المؤمن قادراً أن ينظر إلى حالته بثقة، وأن يتخلص من الصراع الداخلى وأن يشعر أنه مدفوع إلى تحقيق ذاته خلال نموه الإنسانى والروحى. أما عدم وجود هذا القبول المتفهم والودود فقد يثير فيه الإحساس بأنه مرفوض. ويؤدى هذا إلى رد فعل سلبى تجاه المرشد وتجاه الكنيسة وتجاه الله. ومن ثم يشعر بالإحباط وبعدم القدرة على التغلب على مشكلته. بل ويصبح معرضاً للإصابة باليأس.

ولذلك يجب على المرشد أن يظهر اهتماماً حقيقياً وحباً صادقاً وتقديراً عميقاً حقيقياً لشخص المؤمن. ويولد هذا الموقف فى المؤمن فرح الإحساس بتقدير الآخرين له، وسعادة بقدراته الشخصية والرغبة الأصيلة فى النجاح فى حياته.

(1) AUGER L., Comunication et epannouissement personael: la relation d'aide, Montrea, Ed De L'homme, 192, 50.

الفصل الحادى عشر

العميل المؤمن
شخصيته - الاستعدادات الأساسية

المرشد الروحى النفسى.. والعميل المؤمن.. إنهما قضيا لقاء المساعدة. وكما ختمنا رحلتنا إلى عالم المرشد الروحى النفسى فى الفصل السابق، هكذا نقوم برحلة أخرى إلى عالم العميل المؤمن، حيث نتناول شخصيته والاستعدادات الأساسية التى يجب أن تتوافر فيه حتى يحصل على المساعدة التى يرجوها..... مسيرة حياة جديدة نحو ذاته ونحو الآخرين ونحو الله. وقد قصدنا بهذه التسمية (العميل المؤمن) أن وضح أن الإنسـان الذى لجأ إلى المرشد الروحى يحمل فى داخله الجانب النفسى والجانب الروحى، فبتعبير علم النفس هو عميل أو زبون، وبالتعبير الروحى هو مؤمن.

شخصية العميل المؤمن :

تحتل شخصية العميل المؤمن مركز الإرشاد الروحى، وهى العنصر الأساسى فى المسيرة التى ينوى المؤمن أن يبدأها. فهو يلتجىء للمرشد الروحى تحده رغبة البحث عن الطريق الذى يصل به إلى الله طالباً المساعدة ليستطيع مواصلة المسيرة الباطنية والنمو الروحى. وتختلف مكونات شخصية كل مؤمن عن الآخر، ولذلك لا نستطيع التعميم فى الحديث عن شخصية المؤمن.

ويمر العميل المؤمن أثناء اللقاء بحالات نفسية مختلفة مثل: ضغوط -توتر باطنى- هشاشة نفسية- تردد... إلخ. ويدفعنا هذا إلى القول بأن العميل المؤمن يتطلع إلى الحصول على شيئين من المرشد: شىء روحى يساعده على تعميق علاقته مع الله، وشىء نفسى يساعده على امتلاك شخصية سوية واتزان نفسى، ولكن لكى يحصل على هذه المساعدة المقدمة له من المرشد يجب أن تتوافر فيه بعض الاستعدادات الأساسية حتى تأتى المساعدة بثمارها المرجوة.

الاستعدادات الأساسية التى يجب أن تتوفر فى العميل المؤمن:

عندما يذهب المؤمن إلى المرشد الروحى طالباً مساعدته فى مسيرته نحو الله يجب أن يتحلى بأربع استعدادات أساسية:

١- الرغبة فى التغيير.

٢- الشجاعة فى مواجهة الذات.

٣- مسئولية تحقيق الذات.

٤- الالتزام الواقعى والمستمر فى المسيرة التى بدأها.

١- الرغبة فى التغيير:

صدق من قال: الإرادة هى المقدرة.... إن الرغبة فى التغيير هى الشرط الأساسى الذى يجب أن يتحلى به العميل المؤمن عندما يلتجىء للمرشد الروحى. لأن بدون الرغبة فى التغيير ومحاولة الوصول إليه يصبح الإرشاد الروحى بلا جدوى. ولا يكفى أن يرغب العميل المؤمن فى التغيير وحسب، بل يجب أن يصاحب هذه الرغبة التزام جدى للوصول إليه.

وكما يقول الأب جوردانى "هناك أشخاص يدركون حالتهم، ولكنهم لا يسلمون بأنها حالة مرضية، أو على الأقل لا يعتبرونها خطيرة من الناحية الأدبية. وهم أيضاً لا يريدون التخلص منها، فيلجأون إلى مبررات واهية ومنطق معوج وأمثلة وتعاليم غريبة لكى يصلوا إلى نتيجة مؤداها أنهم لا يستطيعون الخروج من هذه الحالة المؤلمة... كما يوجد أشخاص مشلولون بسبب مقاومة فى اللاوعى لا يقومون بأى عمل ولا يلتزمون بأى شىء لذلك يصعب على هؤلاء الأشخاص اكتشاف هذه المقاومة الباطنية التى تضعف الإرادة وتبطل كل النوايا الحسنة وتحملهم بعيداً عن السلوك السليم"(١).

ونختم كلامنا بمثلين أعطاهما يسوع: أحدهما لمركز الإرادة والآخر لنقص الإرادة:

أ- مَثَل المقعد الذى يقول له: هل تريد أن تبرأ؟ (يو ٥:٦)

ب- مَثَل الشاب الغنى الذى لا يقوى على الرغبة الصادقة للحصول على هذا الشىء الواحد الذى ينقصه. (مر ١٠:٢١).

٢- الشجاعة فى مواجهة الذات:

لكى يستطيع العميل المؤمن أن يواجه نفسه يجب عليه أولاً أن يعرف ملامح شخصيته الإيجابية منها والسلبية وأن يقبلها على علاتها، لا بل يجب عليه بالأخص أن يدخل فى علاقة مع الجوانب السلبية، ويتعرف عليها كجزء منه وأن يقبلها.

إن لم يكن للعميل المؤمن شجاعة قبول (الجانب المظلم) لشخصيته فإنه يعكس على الآخرين الجوانب السلبية اللاشعورية الخاصة به. إن هذا الإسقاط يحمله إلى إصدار أحكام ظالمة على الآخرين، كما يبعده عن التركيز فى حالته ونجد فى إنجيل القديس لوقا مثلاً واضحاً لهذا الإسقاط وهو مثل الفريسى الذى يتشكك فى يسوع الذى سمح لامرأة خاطئة أن تغسل قدميه بدموعها وتجففهما بشعر رأسها... إنه لم يفطن لتقصيره فى واجبات الضيافة ويفطن فقط إلى الجانب السلبى عند الآخرين (لوقا ٧:٣٦-٥٠).

٣- مسئولية تحقيق الذات:

بعد نضج الرغبة الصادقة فى التغيير، وبعد التوصل إلى الشجاعة فى مواجهة الذات يجب على العميل المؤمن أن يلتزم بمسئوليته لمواجهة صعوبات الموقف الحالى، والصعوبات التى سوف تواجهه فى

---

(1) GIORDANI B., MERCATALI A., La direzionc spiritualc.., 145-146.

مسيرته. ويحتاج العميل المؤمن أن يوضح له المرشد أخطاءه وأن يساعده على التعرف عليها وعلى قبولها، وهذا يدفعه إلى التفاعل الشخصى مع الحالة التى يمر بها، ويجعله يرفض كل عائق يكبل حريته ويتجه إلى تحقيق ذاته بصورة عميقة.

وفى ذلك يقول الأب جوردانى "إن هذه الدفعة إلى تحقيق الذات والأمانة فى ممارسة الواجبات الأساسية يوضحها مثل الابن الضال (لو ١٥: ١١-٣٢). لقد حاول هذا الابن أن يحصل على الاستقلال اللازم إلا إنه اختار طريقاً خاطئاً، لأنه ابتعد عن جذور وجوده. إن التبصر والحصول على الحقيقة بدأ عندما عاد إلى ذاته (لو ١٥: ١٧) وأيضاً عندما شعر بحاجته إلى العودة إلى منزله وعرف الحالة التى تردّى فيها: لست مستحقاً أن أدعى لك ابناً (لو ١٥: ١٩)"(١).

٤- الالتزام الواقعى:

إن الاستعدادات التى سبق وتناولناها تساعد العميل المؤمن على اليقظة، وتحريك ودعم إرادته فى التغيير والرغبة فى لقاء ذاته، والاستعداد للقيام بمسئوليات، وبذلك يصبح مستعداً للالتزام بالمسئوليات الناتجة عن معرفته للحالة التى يمر بها، والهدف الذى يريد الوصول إليه.

فإذا كان العميل المؤمن ناضجاً فإنه يحتاج فقط إلى دفعة من المرشد الروحى لكى يستطيع أن يبحث عن الالتزام الذى يراه أكثر فاعلية لكى يبدأ المسيرة ويتغلب على الصعوبات.

أما إذا كان العميل المؤمن ذا مبادرات ضعيفة غير واثق أو خائفاً فإنه يحتاج لمساعدة المرشد الذى قد يقترح عليه أو ينصحه ببعض الخطوات العملية المحددة التى تساعده على أن يبدأ المسيرة والتى يناقشها معه ليصلا إلى خطة عمل يقتنع بها العميل المؤمن.

وهناك مثلان فى إنجيل القديس متى على هذه الحالة: الفريسيون الذين كانوا يتكلمون ولا يعملون (مت ٢٣: ٣). والأخوان اللذان يقبل أحدهما أمر الأب ولكن لا ينفذه، فى حين يرفض الآخر الأمر ولكنه ينفذه (مت ٢٤: ٢٨-٣٠).

إن الالتزام الواقعى لا يحدث فقط فى بداية المسيرة، أو أمام صعوبة أو مشكلة ما وبعد ذلك ينتهى... إنه التزام مستمر.. إلتزام كل يوم... بل كل الأيام.. استمرارية فى الالتزام بالرغبة فى التغيير... فى الشجاعة لمواجهة الذات... والتزام دائم لتحقيق الذات.

وهكذا عزيزى القارىء نختم رحلتنا إلى عالم العميل المؤمن. حيث ألقينا الضوء على شخصيته، وتناولنا بوجه الخصوص الاستعدادات الأساسية التى يجب أن يمتلكها ليبدأ مسيرة بناء ذاته.. بناء الإنسان الذى بداخله... راغباً فى التغيير إلى الأفضل... شجاعاً فى مواجهة ذاته.... شاعراً بمسئولية تحقيق ذاته.. ملتزماً فى كل وقت لهذه المسيرة... فينمو وينضج ويملك زمام حياته ويقودها إلى حياة أفضل.

(1) GIORDANI B., MERCATALI A., La direzionc spiritualc.., 153.

خاتمة عامة

نأمل أن نكون قد استطعنا -من خلال هذا الكتاب- أن نعرض طبيعة ومعنى وهدف علاقة المساعدة (الاستشارة النفسية والاستشارة الروحية). ولقد كان تركيزنا فى هذا الموضوع على النقاط الأساسية ذات الطابع النفسى والتى هى فى غاية الأهمية لخدمة علاقة المساعدة الروحية (الإرشاد الروحى).

وقد أردنا بفصول هذا الكتاب، الربط بين ما هو نفسى وما هو روحى، وجعل علم النفس فى خدمة الحياة الروحية، وأن تكون الحياة الروحية هى أيضاً سبيلاً للحصول على الاتزان النفسى.

وقد اتبعنا لمعالجة موضوع علاقة المساعدة منهج "كارل روجرز" والذى من خلاله أوضحنا طبيعة، ومعنى هذه العلاقة، والكيفية التى بها يستطيع المشير أن يقدم مساعدته للعميل ثم تناولنا الصفات والمميزات الخاصة بالمساعد ثم الاحتياجات النفسية الخاصة بالعميل. وكما وضع روجرز العميل فى مركز لقاء المساعدة، ركزنا نحن على (غير المباشر) كطريقة فعالة لأنها تحترم الشخص الإنسانى وتعمل على استقلاليته وجعله مسئولاً عن نفسه وبذلك يكون العميل هو بطل اللقاء.

أما عن علاقة المستشار بالعميل، فقد اتبعنا فكر "أدريان فان كيم" والذى أوضحه فى كتابه (الاستشارة) والذى يركز فيه على أن الاستشارة هى قبل كل شىء هى لقاء إنسانى. ولقد شرحنا طبيعة ومعنى هذه الاستشارة داخل علاقة المساعدة

ورأينا أنه بالإضافة إلى الصفات الشخصية التى يجب أن تتوفر فى المشير فهناك مواهب ومزايا واستعدادات أساسية لا غنى عنها يجب أن يتحلى بها لكى يستطيع أن يقدم المساعدة النفسية أو الروحية، وبذلك نستطيع أن نطلق عليه اسم المرشد الروحى النفسى

أما بالنسبة لشخص العميل فبالإضافة إلى إشباع احتياجاته النفسية، رأينا أنه يجب أن تتوفر فيه استعدادات أخرى خاصة أثناء اللقاء، وأنه يجب أن يتحرك بدوافع روحية تقوده إلى الإرشاد الروحى وبالتالى لا يكون مجرد عميل فقط بل عميل مؤمن لذلك أطلقنا عليه هذا الاسم (العميل المؤمن).

وهكذا نكون قد انتهينا من الجزء الأول من موضوعنا (علاقة المساعدة -الاستشارة النفسية والاستشارة الروحية). ونرجو أن يكون ذا فائدة لكل من يعمل فى الحقل التربوى والنفسى ولكل مرشد روحى أيضاً ولكل مؤمن ولكل إنسان. ونأمل أن نكمل معكم مسيرة علاقة المساعدة فى كتاب آخر.

REFERENCES

AUGER L, Communication et epanouissent personal:

La relation d'aide, Ed. De l'Homme, Monterial, 1972.

CARKHUFF R.R., The skills of helping: an introduction to Counseling, skills,

Human Resouce Devel., Amherst, 1979.

CONTE A., PICONE., Il terapeuta efficace: Psicoterapia rogersiana eneorogeriana, Ed.

Kappa, Roma, 1983.

GIORDANI B., I metodi in psicologia applicaa, Antonianum, Roma, 1972.

La relazione di aitudo, secondo, l'indirizzo di Carl R. Rogers, La

scuola-AnTonianum, Bres cia- Roma, 1978.

Il colloquio psiologico nella direzione spirituale, Ed, Rogate, Roma, 1985.

GIORDANI B., MERCATALI A., La direzione spirituale come in contro di auito, La

Scuola-Anto- Nianum, Brescia- Roma, 1984

GOLDBRUNNER J., Sprechzimmer und Beichtstuhl. Ueber Relig ion und Psychologie,

Herder, Freiburg, 1965.

JOHSON O, psychologie der pastorlen Beratung, Herder, Freiburg. 1969.

KINGET M., Psicoterapiae relazioni umane, Boringhieri, Torino, 1970.

PAGESM., L'orientation non-directivens psychotherapie et en psychologie sociale, Du

nod, paris. 1963.

ROGERS C., Counseling and Psychotherapy, Houghton Miflin, Boston, 1942 La terapia

centrata sul cliente, Ed. Martinelli, Firenze, 1970.

ROGER C.,Kinget M.G., Psicoterapiae relazioni umane, Boringhieri Torino, 1970.

ROGER C., Psicoterapia di consultazione, Ed. Astrolabic, Roma, 1971.

VAN KAAM A., Il Counseling, una moderna terapia esistenziale, Citta Nuava, Roma, 1985.

ZAVALLONI R., Il conigliere pedagogico La relzione d'aiuto nell' educazione, La Scuo la- Antonianu, Brescia-Roma, 1979.

عندما يلتجىء شخص ما إلى آخر طالباً مشورته فهنا تنشأ علاقة المساعدة وهى علاقة تتطلب توافر شروط فى من يقدمها، ومن يطلبها حتى تحدث الأثر المطلوب منها، كما أن مفهوم المساعدة نفسه يجب أن يكون واضحاً فى ذهن من يطلب المساعدة ومن يقدمها، وهناك جانب نفسى وجانب روحى للمساعدة حيث أنها علاقة تقوم بين البشر وهناك نظريات عديدة فى مجال علم المشورة تتناول بالثمن والشرح كل ما تختص بهذا العلم، ونظراً لتعقد وتشابك العلاقات الإنسانية كنتيجة طبيعة لتعقد وتشابك النفس الإنسانية ذاتها- فإن تقديم المساعدة أو ممارسة المشورة لا يجب أن يتم إلا بعد الاطلاع على أساسيات علم المشورة.

وهذا الكتاب يقدم لكل من المرشد والمربى الرئيسية لكيفية الاستفادة بعلم النفس داخل الروحى.



